

إلى نيو أورلينز، حيث قام باستكشاف ضواحي نهر المسيسيبي الذي يعد من المسارات الرئيسية للطيور المهاجرة، ثم انتقل لأبعد من ذلك حيث راح يمشط الحدود الأمريكية بحثاً عن الأنواع غير المسجلة من الطيور.

كانت الطريقة التي اتبعها أودوبون هي دراسة أحد الطيور في موطنه الطبيعي قبل قتله بعناية، وذلك باستخدام طليقة دقيقة لتقليل حجم التلف، ثم يأتي بعد ذلك ابتكاره الهام حيث كان يخطط النوع باستخدام السلك، مما أتاح له تصميم وضع نابض بالحياة. كما عمل على إعداد اللوحات باستخدام الألوان المائية، حيث كان قد استكمل نحو أربع مائة لوحة عندما قرر نشرها في صورة مجلد من المطبوعات، ونظرًا لعدم تلقيه الدعم في فيلادلفيا، فقد أبحر إلى إنجلترا حيث اشتهر بلقب "ساكن الغابة الأمريكي". وتبنت شركة روبرت هافل أند صن المتخصصة في الحفر على المعادن مهمة إعادة إنتاج رسومات أودوبون على اللوحات النحاسية والتلوين اليدوي للصور المطبوعة بالأبيض والأسود.

وحتى يجعل أودوبون من *Birds of America* عملاً مفيداً لعلماء الطيور المحترفين والهواة على حد سواء، فقد صوّر موضوعاته عند مستوى العين بحيث تظهر العلامات المميزة لها بوضوح، كما قام برسمها بشكل أقرب إلى حجمها الطبيعي. وتتميز الصور بالضخامة، حيث يبلغ حجم كل منها نحو ثلاثة أقدام في قدمين، ومع ذلك، فقد قام أودوبون بصياغتها في أوضاع غير معتادة حتى تناسب الأنواع الكبيرة حجم الصفحة. ونظرًا لأن طائر النحام الأمريكي يمكنه الوقوف بارتفاع يبلغ خمسة أقدام؛ فقد اضطر أودوبون إلى تصوير الطائر في وضع انحناء، حيث يقترّب من غمر منقاره في الماء، وقد كان لهذا الحل ميزات أخرى حيث يسمح لنا بدراسة ريش الطائر الواضح، وليس ذلك فحسب، بل يتيح أيضًا التعرف على خصائص كانت ستختفي عن أعيننا: كالساقين الطويلتين اللتين تساعدان النحام على الخوض في المياه العميقة، والأصابع ذات الأوتار التي توفر الدعم له في الأرض الموحلة، والعنق المتعرجة التي تتيح التفاف الرأس للخلف في الماء، والمنقار المعقوف الذي يساعد على تصفية المياه والاحتفاظ بالطعام. وتتميز طيور النحام بأنها كائنات اجتماعية على نحو غير معتاد، لذلك قام أودوبون بتضمين طيور أخرى من السرب في الخلفية، حيث تقف فارعة الطول في المياه الضحلة، ويظهر بعضها في وضع الوقوف المألوف على قدم واحدة. ويتيح المشهد عن بعد لمحة سريعة عن موطن النحام، حيث تمتد المستنقعات والمسطحات الطينية القاحلة بالقرب من الساحل.

يضيف الإحساس بالتصميم لدى أودوبون بعدًا آخر في دقة الرسم التي تتميز بها؛ فالصورة الظلية للنحام تؤكد على التموج الأنيق لجسم الطائر، حتى أن الانحناء الحاد لعنقه يعطي انطباعًا مفاجئًا مؤقتًا بأن الطائر لا رأس له. وتحاكي زاوية منقار النحام حافة الصخرة التي يقف عليها، تمامًا كما تحاكي الزاوية الحادة لساقه الأمامية المسار المتموج الطويل لعنقه. ويركز أودوبون على درجة اللون الوردية المميزة للنحام من خلال وضع الطائر أمام خلفية تظهر بالمقارنة خالية من اللون مقارنة به.

لقد أدرك أودوبون، مثل غيره من الفنانين الأمريكيين الذين سعوا إلى تسجيل الحياة البرية العذراء، أن الكثير من أشكال الحياة البرية التي صورها ستختفي مع زحف العمران ناحية الغرب، وقد كانت أول مرة قابل فيها سرًا من النحام الأمريكي في مايو 1832، بينما كان يبحر قادمًا من فلوريدا كيز، ومع نهاية القرن التاسع عشر، انسحبت الطيور إلى أقصى جنوب فلوريدا، واليوم لا يمكن رؤيتها إلا في الأفاص في شمال أمريكا.

تُعد لوحة (طائر النحام الأمريكي) إحدى النقوش الملونة يدويًا والتي يبلغ عددها 435 ضمن مجموعة جون جيمس أودوبون التذكارية الضخمة *Birds of America*، والتي تم إصدارها في أربع مجلدات بين عامي 1826 و1838. ويشتمل الإصدار الضخم على رسومات بالحجم الطبيعي لما يقرب من خمسمائة نوع من طيور أمريكا الشمالية. وفي حين أنه لم يكن أودوبون أول من حاول وضع هذا الكتلوج الشامل، إلا أن عمله قد تميز عن الرسوم العلمية التقليدية، والتي كانت تعرض الأنواع بشكل تعوزه الحيوية بخلفية فارغة، حيث صوّر الطيور كما نراها في أماكنها الطبيعية. وعند نشر صورته لأول مرة، اعترض بعض علماء الطبيعة على استخدام أودوبون للمؤثرات الدرامية والتصميم التصويري، ولكن كانت هذه هي الخصائص التي تميزها بعمله وجعلت منه سجلًا نفيسًا للحياة الطبيعية في أمريكا، بل وعملاً غير مسبوق في الفن الأمريكي.

وُلد جون جيمس أودوبون في هايتي وتعلم في فرنسا، حيث بدأ في استكشاف البيئة الطبيعية وتطوير موهبته في الرسم والحس الجمالي. وفي العقد الأول من القرن التاسع عشر، هاجر إلى الولايات المتحدة لإدارة مزرعة كانت تمتلكها عائلته بالقرب من فيلادلفيا، ولكنها ضاعت منه بسبب الإهمال؛ حيث انشغل بكثرة وتنوع مجموعات الطيور الغريبة التي وجدها في المنطقة. وفي النهاية أخذ أودوبون على عاتقه القيام بمهمة بطولية وهي تحديد أماكن كل نوع من أنواع الطيور المتوطنة في أمريكا الشمالية وجمع هذه الأنواع وتصويرها، ثم انتقل لفترة قصيرة مع عائلته



6-أ جون جيمس أودوبون (1785-1851)؛ روبرت هافل (1793-1878)، نقاش، (طائر النحام الأمريكي)، 1838. نقش ملون يدويًا بحفر مائي، لوحة 38 1/16 × 25 1/16 بوصة (97 × 65 سم)؛ ورقة 39% × 26% بوصة (101.28 × 68.26 سم). من *Birds of America* (اللوحة رقم 431). هدية من السيدة/ والتر ب جيمس، 1954 (8.431). حقوق طبع الصورة لعام 2006 محفوظة لمجلس الأمناء، معرض الفن الوطني، واشنطن.

## صف وحلّل

إ م ث

اسأل الطلاب عما يلاحظونه أولاً عند النظر إلى هذه الصورة. ربما يكون طائر النحام هذا كبير الحجم. اطلب منهم تقديم وصف لكيفية إبراز أودوبون لضخامة النحام. لقد جعله يملأ الصفحة، ووضع في منتصف الرسم، كما جعل لونه الزاهي مقابل الخلفية البسيطة وغير الملونة نسبياً.

إ م ث

أين تظهر النقوش على هذا الطائر؟ تظهر النقوش على المنقار وفي تصميم الأجنحة المطوية.

إ م ث

ماذا يوجد في خلفية هذا الرسم؟ نجد طيور النحام الأخرى والمستنقعات والمياه. ماذا تفعل الطيور في هذه الصورة؟ يبدو أنها تبحث عن الطعام.

إ م ث

صف كيفية إظهار أودوبون للحجم الكبير لموطن النحام الطبيعي. لقد أعطى إيحاءً بالبعد من خلال جعل لون المياه في الخلفية أخف من لون المياه في المقدمة ومن خلال رسم الطيور بحجم أصغر وألوان أخف من ألوان النحام القريب.

م ا ث

أضفي أودوبون على النحام شخصيته المميزة من خلال رسم عدة أنواع من الخطوط. اطلب من الطلاب تحديد بعض الأنواع المختلفة من الخطوط التي تظهر في الطائر. يتميز الطائر بعنق متموج، وجناحين مصممين بانحناءات سلسلة، وساق مستقيمة وأخرى مثنية.

إ م ث

اسأل الطلاب عما تمثله المخططات بالأعلى من وجهة نظرهم. إنها عبارة عن رسوم أولية للمنقار والقدمين. اطلب من الطلاب التفكير في سبب تركها في الصورة. ربما لتقديم معلومات إضافية - مثل شكل المنقار عند فتحه، أو شكل القدم من أعلى؛ أو لملء الفراغ بأعلى الصورة حتى لا يبدو خالياً بالنسبة لأسفلها؛ أو لبيان أن الفنان دقيق في ملاحظته تماماً مثل العالم.

إ م ث

فسّر

اسأل الطلاب عن سبب اعتقادهم بأن أودوبون قام برسم موضوعاته بالحجم الطبيعي بدلاً من تصميم صور مصغرة لها. لقد أراد من المشاهدين لأعماله أن يتعرفوا على الحجم الفعلي لهذه الطيور وأن يروا التفاصيل الخاصة بأجسامها وأجنحتها.

إ م ث

لماذا برأيك قام أودوبون بعرض النحام هكذا مع انحناء رقبته لأسفل؟ لقد أراد أن يجعل هذا الطائر الكبير مناسباً لحجم الصفحة، وأن يجعل تصميمه ممتعاً، مع إظهار قدرة هذا الطائر الطويل على تناول الطعام في الماء.

م ا ث

اطلب من الطلاب توضيح السبب الذي يجعل من هذه الصورة عملاً فنياً وليس مجرد رسم توضيحي علمي. يمكن للطلاب ذكر الوضع المفعم بالحيوية للطائر، وإضافة الخلفية، أو جمال التصميم.

ث

اسأل الطلاب عما إذا كانوا يعتقدون أن هذا النحام يبدو وكأنه حي أم ميت. ربما يعتقد الطلاب بأن الوضع الخاص به والخلفية تجعلانه يبدو وكأنه حي. وضح لهم أن التصوير الفوتوغرافي لم يكن قد ظهر بعد، لذا كان على أودوبون أن يقتل الطيور ويجعلها في أوضاع مفعمة بالحيوية حتى يتسنى له الوقت اللازم لدراستها بكافة تفاصيلها.

ث

شجّع الطلاب على التفكير في السبب وراء تركيز أودوبون وغيره من الفنانين على تسجيل الحياة البرية الأمريكية في ذلك الوقت من تاريخ أمريكا. نظراً لأن أمريكا كانت في مرحلة الاستيطان والنمو، فقد كان هناك اهتمام شديد بالعلوم ودراسة الحياة النباتية والحيوانية بأمريكا، وكثيراً ما كان الفنانون يشتركون في الحملات الاستكشافية للتعرف على القارة الأمريكية وتسجيل أنماط الحياة بها.

ث

اسأل عن كيفية اختلاف هذه الصورة للنحام عن نماذج النحام البلاستيكية التي يضعها بعض الناس أحياناً في أفنية منازلهم. هل ينتمي كلا النوعين إلى فن رسم النحام؟